الشاعر حسن البحيري
ملامح حياة ومعالم رؤية وطنية

د. حسني محمود حسين

ما إن تلج بيت البحيري في حي المزرعة في دمشق، حتى تطالعك صور المدن الفلسطينية الأنيقة من على جانبي الممر الموصل من البوابة الخارجية... ثم تتعدد بك المنافذ والمداخل والغرف، وانت تجوس خلال الدار لتطل فيها ومنها كلها على «الأشياء الفلسطينية المحضة...» الخرائط والصور واللوحات والكتب والأزياء، وبعض المصنوعات اليدوية والنباتات المجلوبة... حتى النقود والطوابع الفلسطينية منذ ايام الانتداب البريطاني المشؤوم.

ويحلو لك حسن البحيري، في «متحفه»؛ وهو، مثله مثل عجوز فلسطينية حريصة، يدس يده هنا وهناك... ويخرجها في كل مرة ليريك بعض أشيائه الفلسطينية العزيزة، يعرضها عليك، وهو يحدثك عنها في كثير من الاعتزاز والزهو الباسل الحزين. ويعجب المرء حقا بهذه القدرة الانسانية المدهشة، وبهذا الجهد الفردي الذي سخره صاحبه لخلق فلسطين مكثفة في بيت واحد... احاله إلى ما يحلو لي أن أسميه «متحف فلسطيني للبحيري» في قلب دمشق... ولكنه حبها المقدس الذي سيطر على صاحبه إلى ما يقرب من حد العبادة، هو الذي اقدره، بجهده الفردي، على التضحية لتحقيق مشروعه العزيز الفريد الذي يقوم على نيته في التوصية ببيته الواسع ليكون، بكل ما فيه، وما أكثر ما فيه متعلقا بفلسطين، مركزا ثقافيا فلسطينيا في قلب بلاد الشام. ان هذه الفكرة الوطنية النبيلة التي يلزم الرجل بها نفسه قد أدت به إلى أن يبذل جهدا خارقا في إعداد بيته ليكون هذا المركز المبتغى بعد وفاة صاحبه، مد الله في عمره. ولكن ما يؤرق البحيري، وهو ينسحب عن شرفة العقد السادس ليخطو على عتبة العقد السابع، الأمور والملابسات القانونية التي تتصل بمثل هذا العمل في مثل ظروف صاحبه... رجلا وحيدا عزبا...

ان من يعرف حسن البحيري لايستغرب منه هذه الفكرة او هذا المشروع؛ فهو من مواليد مدينة حيفا... ومن يقرأ شعره* فيها ويقف على حبه مدينته من خلال وطنه

* صدر للشاعر ديوان «حيفا في سواد العيون»، طبع في مطابع «اوفست العلم»، بدمشق عام ١٩٧٣. كما =